ذاكرة
ليوم آخر

الديـــوان : **ذاكرةٌ ليوم آخر**

الشاعـــر : **عبد اللطيف الوراري**

الناشـــر : دار التوحيدي للنشر والتوزيع ووسائط الاتصال

118 زنقة نابولي المحيط الرباط

هاتف/ فاكس: 0537260578- darattaouhidi@yahoo.fr

لوحة الغلاف للتشكيلي والشاعر: عزيز أزغاي

خطّ العنوان وكلمة الغلاف: حسن برني

الطبعـــة : الأولى 2013م

الإيداع القانوني : 2013 MO 0013

ر.د.م.ك: 978-9954-507-44-4

المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة الحي المحمدي الداوديات

مراكش - الهاتف : 74 37 30 24 05 - 91 25 30 24 05

الفاكس : 23 49 30 24 05 e-mail: iwatanya@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

el_ouarari@yahoo.fr

عبد اللطيف الوراري

ذاكرة ليوم آخر

شعر

الفهـــــرس

ـــ العشاء الأخير للمعتمد بن عباد..... 11

ـــ يُنْشدها طويلاً من تلقاء نفسها..... 18

ـــ سريرة الحجر..... 20

ـــ قبل هذا التاريخ 23

ـــ ترجيع 27

ـــ قالت القصبة..... 29

ـــ دوارٌ لا يُشْبه الغد..... 30

ـــ رائياً في دُكّالة..... 32

ـــ عبد الله راجع..... 35

ـــ زُهْد في مـــــاضٍ كهذا 37

ـــ ليس لي اللّيْلة ما أفعله..... 40

ـــ الحياة في غضون ذلك.. 42

ـــ مـــــيراث..... 44

ـــ أغادير، كيفما اتّفق..... 47

ـــ تجهش بالحطب..... 49

ـــ صبراً، أيّتها الذاكرة..... 51

ـــ من الآن فنازلاً..... 54

ـــ ساعة من النهار وقوفاً..... 57
ـــ تلقاء بابـــــــــــل..... 60
ـــ إرادة الحياة (تتمّة حديثة) 63
ـــ صعوداً إلى حياةٍ في الجبل..... 68
ـــ الإصحاح السابع..... 73
ـــ حكاية الياسمين..... 76
ـــ أحزان أبي العباس..... 79
ـــ تقاليب ضوء..... 85
ـــ موّال أندلسي..... 101

ملحق: (شهادة في الديوان وقصيدة منه مترجمتين إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية).

إلـــى أبـــي

يُقاتِلُنـــي عَلَيْـــكَ اللّيْـــلُ جِـــــــدّاً

ومُنصَـــرَفـــي لَـــهُ أمضَـــــى السّـــلاحِ

لأنّـــي كُلّمـــا فـــــــارَقْتَ طَرْفـــــي

بَعـــيدٌ بَيْـــــــنَ جَفْنـــــي والصّـــباحِ

المتنبّي

العشاء الأخير للمعتمد بن عبّاد

تَجُوعُ ريحٌ

بِبَابِ الكَرْمِ

أَسْمَعُها تَجوعُ.

مَنْ مَرّ قُربَ الْبِئْر يَسْمعُها مِثْلي، وَيُطْعِمني جُوعي.

يَدايَ هُنا، في البَيْتِ، لا تَسْنُدانِ البَرْقَ إنْ عَوَتا منَ الغُيومِ.

أَنا المَجْروحُ أَفْرك عَيْنَيْ شاعِرٍ، وَأُربّي حِنْطَةً. وَبِلا جَدْوى أَطُولُ لِئَلّا يَنْفُقَ الْأَمَلُ !

الثَوْبُ ينْسلُّ مِنْ أطرافِهِ، وَكُوَى الْأَطْيانِ تَهْمِسُ لي: ما بِالنّخيلِ!

وَمِنْ مِتْرَيْنِ غِرْبانُ أغْماتَ الشّريدة

إذْ تَنْعبْنَ بِالْفَأْلِ لي.

ثُمَّ الحَناجِرُ مِنْ حَوْلي تَلَذُّ بِأطْرافِ الأسنّةِ.

مَنْ لِي بِالنّشيدِ إذا ماتتْ ولَمْ يَصِلُوا؟

سَأَكْتُمُ اللّيْلَ ما بي ما اسْتَطعْتُ،

لِأنّ زَمْهَريراً كَهَذا قَدْ يَخُونُ؛

فَلا أَمّارَةٌ مِثْلُ نَفْسي.

كَمْ سَمِعتُ لَكُمْ مِنْ ذِكْرياتٍ

وَلا ذِكْرى مَعي اذّخَرتْ بَيْتَيْنِ لي.

خَيْبَةٌ في الدّهْرِ لَيْسَ لَها وَزْنٌ،

ولا انْتَظمتْ في حَرْفِ قافيةٍ،

كَأَنّها بَدَلٌ في جُمْلَتي

... بَدَلُ !

في زَمْهَريرٍ كَهَذا لَسْتُ أَحْلُمُ.

مَنْ في مِثْلِ نايِي جريحاً لَيْسَ يَحْلمُ.

مِنْ جِذْعي اصْطَنَعْتُ لِعَزْفٍ طالَ مائِدَتي،

وَقُلْتُ لِلطَّيْرِ فَوْقَ التّلِّ تَجْفُلُ:

ها رَأْسي

وَفي لَوْنِ خَدّيْها اشْرُبي رَاحي.

لَمْ يُفْتِ يُوسُـــفُ في رُؤْيايَ

لَمْ يَرَني

لِيَصْنَعَ الْقَيْدَ مِنْ رُمْحي

وَيَقْعُدَ بي

أَبيعُ قَبْراً بِأَبْياتٍ

لِسُيّاحِ !

مِنْ فُرْجة الْبَابِ

تَبْكي مَنْ نُعِيتُ لَها.

تَبْكي، مَساءً، ثُريّايَ الوَحيدَةُ إِذْ

بَكى الْوَحيدُ،

بَكى الزّاهي وَقُبّتُهُ،

والنّهْرُ،

والتّاجُ يَبْكي خَلْفَ مَنْ سُحِلُوا

عَلى أَبي هاشِمٍ عَيْنايَ:

يا وَلَدي، أَسْمِعْ أُخيّاتِك العَزْفَ الْقَديم،

وَلَا تَحْزَنْ. سَيَغْزِلْنَ قَبْراً لِلْغَريب، وَإِنْ

بِالْوُسْعِ يَخْفِضْنَ مِنْ هذا الغِناءِ.

لَقَدْ سَمِعْتُ مَنْبتةُ الزّيْتون تَصْرُخُ بي:

رُؤْياك.. رُؤْياك؟

لا أَدْري الّذي تَسَـــلُ !

كَفّايَ مِثْلُ رُؤايَ الْبِيد

أَوْدَعَتا في الوَرْدِ كُلَّ قُطوبِ البَرْقِ:

لا سِنَةٌ فَكّتْ عَنِ الصّدْرِ نابَ الثّلْجِ.

لا قَمَرٌ أَغْفى بِقُرْبي وَوَاسى في (اعْتِمادَ)،

وَلا ساعي بَريدٍ لِنَسْلي في الْبِلادِ.

مَتى عَمايَ يَصْدُقُني خَطّي الْجَريحَ؟

عَلى عَيْنيّ أَخْتطُّ طُوفاناً

ويَضْحكُ مِنْ جُوعي ابْنُ زَيْدونَ

مِنْ مِتْرَيْنِ:

ما الْعَمَلُ؟

دَمِي شَرابُك

وَا قَيْدي

وَتَنْهشُهُ في اللّيْل بَرْدانَ

وَا قَيْدِي

وتَسْرِقُ مِنْ يَدَيَّ رُمْحي وَبَحْري،

ثُمّ تَسْعلُ: وَا...قَيْدي.

كُفِيتُكَ ــ وَا قَيْداهُ ــ تَسْلُبني رُؤْيايَ

تُطْعِمُ لِلثُّعْبانِ مَجْهُولي

فَرُدَّ نَفْسي على نَفْسي لِتَلْعَنَ مَنْ

صَدّقْتُهُ وَقَصَصَتُ المُسْتَحيلَ لَهُ، فَــمَاتَ !

وَاتْرُكْ بِبالِي الْكَرْمَ يَدْعُــو لي.

.....

.....

ذَاكَ الْخَريرُ الّذي

يَأْسو الظِّلالَ

دَمي الكُوفِيُّ

أَيّانَ مالَتْ

شَفّني الْبَلَلُ !

يُنْشدها طويلاً من تلقاء نفسها

عِنْدما يتراءى

على درج اللّيْل

وَجْهي شِراعاً

أُواري ودائعَ عيْنيَّ

بَيْني وَبيْنك

في كمْ بَريدٍ

أَرى الورْد

في شهْقةِ العتباتِ

على شجَرٍ داكِنٍ

ثُمّ بلا هُدْهُدٍ في الغُروبْ

أُصيخُ لِقَلْبيَ

يَسْرْدُ لي:

هو ذا الماءُ

ما منْ دمٍ

لِـــــرَحى العَـــيْن

هذا المتاه.

قالَ لي شبحي وهْو يخْلُدُ حشْداً إلى مقْعدٍ منْ مواعيدَ:

يا صاحِ هلْ سرْتَ بي جهةَ اللّيْل

حتّى أرُدَّ عَليْك النُّدوبْ؟

سريرة الحجر

لَيْسَ في الْبَيْتِ الْخَفيضِ الْوَقْع

يَرْعى الْبَجَعاتْ

ويَرُدُّ الْحَجَرَ الْمَرْكومَ عَنْها

لِتَمُرِّينَ عَلى أَسْبابِكِ الْعَشْرِ

سِواهْ

كَوَلِيٍّ صالِحٍ

يَنْفُخُ في الْأَصْدافِ

لَوْ تَأْتي إِلَيْهِ الطَّيْرُ

في الزُّرْقةِ

يَجْني الْكَرْزَ

بيْنَ الْقَلْبِ والْقَلْبِ.

صَريرُ الْأَخاديد

مِنَ الفَتْرة

يَأْسُو الضَّوْءَ

والْأَعْشابُ لا تَنْدَمُ

حَتّى يَدْفَأَ الْجَوُّ

وَراءَ الْعَتَباتْ

يَا لَها

تِلْكَ الأَيادي الْمُشْتَهاةُ

انْـــــ

تَـــ

ثَـــــ

رَتْ

تَسْلُكُ إِيثاكَا إِلى الْبَرّ

وأَشْهاهَا يَداها

تَسْنُدُ الظَّمْأَى عَصَاهْ

أَلْعَصا ذَاتُ الْعَصافير

إِلَيْها تَسْكُنُ

الْأَشْبـــاهُ

والْمُشْتَبهاتْ

قبل هذا التاريخ

(إلى نازك الملائكة)

إذا أوْحى لنا المِصْراعان،

قبل أنْ نأتي زاهِدين في حُبّ آخرين،

بشيْءٍ

فها هُوَ:

يتلوّى حُرّاً

يلتَهِم،

ولا يشكُّ في نَهْرٍ لا مندوحة منه،

فإنّ ذلك ما يحْدُث غالباً.

لِنَدعْ هذا

هُناك الرّيحُ

ما الذي يجعلُنا نتأذّى من الحفيف،

ونظلُّ نُهْتِف بالحشائش

و نلوِّح بأغاني الدّهْر؟

هلْ نسيْتُمْ

أنّا نراكُمْ في المرآة

تُلْقمون اللّيْل حيتاناً

كمثل بحّارةٍ سيقُوا عَزْفاً،

بيْنَما الأمواجُ تتضوّر.

هُنالك الرّيح، إذاً.

نشربها من مياه رماديّة

ولا نَثِقُ في دم الحكمة.

بوسعنا، لغايةٍ أخرى، أنْ نُتْلف السيقان

لأنّ ناراً كهذه لا تُهمّ.

أيّتُها القرارة

ماذا تبقّى من صرعى الكوليرا،

ومن صور اللّائي ارتطمْن بالشُّرفة السحيقة؟

إنني لا أرى مَوْجاً، ولا ليلاً كالموج يُؤْمن.

لا أرى غير وجْهٍ يطوف به آلٌ أشقياء

فأسمعُ من القيعان مَنْ يقولُ لي: مُتْ إلى غد

حيْثُ الحصادُ تُباركهُ الملائكة !

يَتُها القرارةُ

جرحَتْك الألسنة

جرحَتْك أجْنحة الماء

جرحَتْك أطرافُ منْ عبروا بِشَهْوتِهِمْ

دَمَ الفجاج

بماذا أُواسيك:

بالأثـــر

أمْ

بالصّدى؟

تـــرجيع

مع ما يحدُثُ في الأسْفَل

أَطْلَقنا العِنانْ

سحرَتْنا أُغْنياتُ اللّيْل

في ريحٍ بِلا ذاكِرةٍ

واشْتَطّت الرّؤيا بِنا.

أَعلى فَأَعلى،

حيْثُ لا آلامَ

في الشُّرْفة

يَأْسو

مِثْلُ عَزْفِ البَتَلاتْ.

مع ما يحدُثُ في الْأسفَل

لَمْ نفقِدْ خُطى النّارِ،

ولا بَوْصلة الأَغْصان.

نُلْقي السّمْع لِلْآثارِ تُسْقاها القرابينُ:

دَمٌ ساهٍ، عيونٌ ساهِراتْ.

هذه الْأَشْجارُ في الخارِج

ذِكْرى لِحياةٍ بِجوار السُّوق.

في وَقْتٍ كَهذا،

ليْسَ حادي الوَهْم

مَنْ يُبْهظ أَجْرَ الْغَدِ،

بل لَيْس لِهَذا الدّمِ صَوْتٌ

مع ما يحدُثُ في أَسْفَلنا

مِنْ لا مَكانْ !

قالت القصبة

لَمْ يكُنْ بِـــيَ حُزْنٌ

لِأُبْعد عن مسمعيّ رجاءَك أيّتُها البِئْر.

مُسْتوحشاً أَنْقُر القوس، ثُمّ أَدُوخ:

غابةٌ بُعِثتْ غابةً

رُبّما، رُبّما من جِناسْ !

دوارٌ لا يُشْبه الغد

تَمرُّ أمامَ عينَيْك؛

الحَياةُ هنا صَدىً زاهٍ لِوَادي الدّلْب.

أَرْمِدةٌ لِساعاتٍ بأكملها،

تَمـــــرُّ.

خُطوطُ كفّك لَمْ تكُنْ تُوحي بذلك:

لِلْمَـــــدى بابٌ جريحٌ.

تَسْمعُ الحَـــــذِرات،

من أقْصَى القِطار،

يَصِفْنَ لِلْباقِينَ

حظَّ النّاي

يَذْرعُ الرّدْهات.

في السّطْح، الْأَزيزُ أقلّ.

لَيْس يهمُّ.

ما يعني به الْجَــابي من النُّكت الثقيلة.

في هَوَى القِطّ المُصاحِب لِلْعَجوز:

النّوْمُ مِنْ على الْوَدائع،

بعد أنْ نَتفقّد الْحِيطـــــانْ !

رائياً في دُكّــالة

هنا،

حيْثُ يمكنك أن تُعاشر دمَ الزُّرقة

من نافذةٍ على المحيط

لم تكنْ قدمانِ يسحبُهما

جسدُ سركون وركْوتُه

من شِعاب آشور

مُجذَّرتيْن

من ندمٍ على الغد

لولا أنّ شيْئاً تافهاً يحدثُ ــ كهذا صيفاً

من أسبابٍ كثيرةٍ في عمل الرّيح.

لكن رؤياه بـــــ (أزمّور) في فندق

يطفو بين يدي عرّافةٍ

ثمّ لَيْلته المقمرة على حافّة من ميناء الجديدة

أتاهُ بأنباء من القرى،

وأسمعه بنايٍ لِلْعُظاءة تُسرّ لساق الطاولة؛

أمّا ما كان من خِرق العوانس

تُخيِّم على نهر أمّ الربيع

ومن سُبْحة المُقرئ الأعمى

تُطالع أبْخِرة الأبديّة، إلى ظهيرة اليوم.

فلا يهمّ، بعد جنازة طويلة من الأرق،

ما تقول في الطبيعة،

لأنّ حَجراً في حِجْرِ الشاعر

مِنْ سيماء الذّهب !

ثمّ لا يزال غناءٌ مثل هذا يُسْمع

من بلد الطاعون،

محتشداً بذهَبِ وَحْشته:

"هاك أبو شعيب

في جنب الواد

هاكي يا عائشة

في بغداد" ـــــ

وهكذا الحياة تُؤْتى،

بِمُوازاة ذلك.

عبد الله راجع

مِنْ أمْـــسِ

مِثْلَ شارِدٍ

أسألُ عنه.

أسْأَلُ البِلادَ في يَوْمَ الحَصاد،

والحَصادَ مِنْ دَمِ الطّاعون.

ثُمَّ أَسْألُ الرّيح التي لَمْ تَرَ،

والبابَ الذي تصفقُهُ وراءها

كَجُملةٍ تَعْوي من الإيقاعْ

لّما وُلِدْتُ كُنْتُ قَـــدْ سألْتُ

بابَ البَحْرِ

هَبّتْ نأْمَةٌ

مِنْ ثَبَجِ الأمْواج

إِذْ تَهَمِسُ لِي:

ذلِكَ عَبدُ اللهِ

رَجْعُ الوَرْدِ

مَحْموماً

وَهَذِهِ أياديهِ

تُضيءُ

هالةً

مِنْ قَـــاعْ !

زُهْدٌ في ماضٍ كهذا

بِعَينيْه المُشرَّدتيْن

نعم، كعَينيْه اللّتيْن تُبلْبِلان هُناك

مِنْ صحراء تقْنطُ من خطوط الكفّ

بالأشْجارِ غرْقى (في صلاةٍ، رُبّما)

بِنداءِ شاهدة الْمَتاهِ على خُطاهُمْ

في طريق الغَيْم

بالنّايات ترتَجِلُ المَباذِل

منْ فَم الميتافزيقا

حطَّ

جنْبَ اللّيْل

يحدقُ بالطُّيور

تدلُّ صرختَهُ إلى الْغَـــد

في ذُهولْ

دَمُهُ هُوَ النّجْمات

حيْثُ يصيحُ أوّل عهْدِه بالأرض:

يسْفَحُ ظلَّهُ مِـــنْ ديمَةٍ سيقتْ لِمجْهولٍ،

ويرْشقُ بالحشائش مَنْ بِباب اللّيْل..

ثُمّ يَسيرُ:

ليستْ بعد ذلك

تعرفُ الأسْبابُ

ماذا قالَ لِلصّحراء تُزْهر في يدَيْنْ

أو قالَ لِلْأجراسِ تشربُها الخُطى،

أو قالَ للنّهْر الذي يرِثُ اللّغاتِ ــ كما يقُولْ؛

إذْ لا غِناءَ هُناك

في إطراقةِ الأعمى

يُجازف بالمآثرِ

بَعْد عَيْنْ.

ليس لي اللّيْلةَ ما أَفعله

هذا دخانٌ

يَحْجبُ الرُّؤية عن يَوْمي.

تسلّيْتُ مع الْحُوتِ

وَعَفْو الخاطِرِ استرجَعْتُ إيقاعاً.

خفيفاً في خُطى النّرْد

أَرى اللَّفْتة

تَأسو قَدَح الأحراش.

كَـــمْ وقْتٍ لَنا

يا صـــــَاحبي،

حَتّى أُسَمّيكَ

هَوى جُوعي

وأمْشي

في عَماكْ !

الحياة، في غضون ذلك..

اليتيمُ الّذي نام جنْبَ الساقية

لا يعرف ماذا يحْصُل

لِلْفَراشات

بيْنَ أوْقَاتِ الرّسْم

منْ حينٍ لآخر

صَفيرُها

يُقلِّب دَماً

في ظلِّ الأحراش

ولا يميلُ كَما هي،

ثُمّ

يُرْجئ أسلةَ السّريرة

إلى الغروب

رُبَّما

لأنّ البراكين

تحت جاعِـــرتَي الفرس

لا تُضيءُ،

في غُضون ذلك.

ميـــــــــراث

بِكَ الأَقْواس تَمُرُّ،

والآثارُ تَسْبِقُها الْبُومُ إِلى الْغَاياتِ.

أَفرِكُ كفّي.

لَا أَحَد مِنْ آل النَّهار يسألُ عابرين.

في الْمُنْتَصَف، ساحاتٌ كَما آلَة الْأَرْغانُون

من وراء حجابٍ، تزعق.

لَعلَّ السّنونوات في نَوْمٍ ثَقيل.

لا يُشْبِه الْبابُ تَميمة

كهذه الخطوة على الْأَدْراج

تَنْقر كَمَنْجاتٍ مُعَلَّقاتٍ

علَى مُناخ

يتقصّف جِناساً:

دَمْ دَمْ دَدَمْ

.....

في جَوْقَة الْحَرْب يَحْدثُ مثل هذا،

وفي أفلام الرُّعب أيضاً.

يَضيع الشرف حِلّيّاً ثَقيلاً،

ثُمّ يَضْجَر من سُوء الْــجِيرة.

كانَ الضّوْء لا زال

من فُرْجة المتحف

يغمرُ رِجالاً يَمْضغون الوَقْت.

مع ذلك،

يتثاءبُ

ولا يحلمُ بثيابٍ قصيرةٍ

مِثل سَهْو السناجيب.

أغادير، كيفما اتّفق

هَـــا أنْت تَخْفِض عَزْف نايِك

مِثْل مجْروحٍ

إلى أَبَدٍ.

صَريرُ النَّرْد تُسْمِعهُ الطُّيور على دَمٍ يَشحُّ:

"متَى يكُونُ اللّيْل في مُتنَاوَلِ الْأنْفاسِ؟"ـــ

صَبْر النَّوْل

مَهْما جَدّ منْ عَطَبٍ

يُساقُ إلى خُطى الزّلْزال،

ثُمّ يكحُّ.

مرّتْ منْ هُنا الْعَرَباتُ

تطْفُر منْ رَمادْ

....

....

لَوْ يَسْمعُ الحُوذِيَّ

وَقْتَ الأُنْس

قَشُّ الأَبْجَديّهْ.

تجهشُ بالحطب

الكفُّ

إذ تطرقُ باب الأَهْل

تَنْدى

مِثْل هذا الْجُرْح نفْسِهِ

سَلا في طَيَران الْحِدَأَهْ

إذْ لا ترى:

تَسْدي الثّنيّاتِ

من البارحة الفظّة

يحنو نَدَمُ الأهْلِ عليها

تتّقيها الذّكْريات

مِثْل شرّ مُسْتطيرٍ...

رُبّما الكَفُّ

لِهذا الجُرْح

صارتْ مِدْفأهْ.

صبراً، أيّتها الذاكرة..

يَنْقُر البَرْدُ عُودِيَ عند (ورار)،

فأَسْمعُ شَيْئاً من الأَمْس،

ثُمّ الْحَصى

أَسْفل السّهْو

أعلى الندوبْ

هَكذا هي تبْرحُني في سُكون

ليْس تسْألُ عنّي الْمَدى كَيْف أَصْبَح،

والْكاظمينَ الزُّهور، وَصمْتَ الأُوَيْقات

عِنْد الْغُروبْ

كأنّ أصابِعَ جدّي ــ الّذي لمْ تُصافحْ يدِي يَـــــــــــــدُهُ

أَلْقَمتْها هواها الرّياحْ

جاءَ يَبْذر غرْبَتَه في الطَّريق

يُريدُ امْرأةً، وقطيعاً، وشاهِدةً على التّل.

وقْتَ الْحَجيج أَراها كما هي

يمشطُ غُصَّتَها أهلُها الْبُسطاء:

نشيدٌ

وآلٌ

وَطِينٌ

وصمْتُ السماء

بِأرْضٍ بَراحْ

ما أجلَّك يا سِرُّ

ضاعفْ تلاوينَ رَقْصِك

وانْسَ يَـــديّ تُطالِعُ شَاهِدةَ الجَدِّ

في ما تبقّى من اللّيْل

صَمْتاً

بِمرْأى الْغريبْ!

من الآن فنازِلاً

لا غيابَ أشْبَه بالوَقْع

يَدْلـــفُ الرّدْهات إليها،

مُتشرّداً في وادٍ طالْ !

بِهيئة الماءِ

يطفرُ مِنْ عَينَيْها

إلى مِصْباحٍ جنْب الْقَلْب

حجيجٌ

صائِحاً بالأخطاء.

في طَواف الْكَمَنْجات

عَلَى جِدارٍ

لا يَلْتفِتُ

للظّلال

ما يُوحي بِالْهِجْرات الـــمَيْؤُوس منها،

إِذْ هي تأتأةٌ تَتمطّى شهقةَ الصّحْراء؛

سَهْو ظِلالٍ يندلقُ مِنْ حُروف الغد.

لأنّ الْماءَ لِسانُ الشّهْوة،

تَحْتاجُ الأرضةُ مزيداً مِن الْأَسَلات

تَسْرُدُ

عددَ الأَرْض

وَجْهي،

لأسْـــمَعَها ثانيةً:

هُو ذا... هُو ذا. يُدثِّرُني

في مِرْآةٍ تجْهشُ بالأسماء

في ريحٍ تُشْبِهُ من فتكَ بسرّي

في كِتابٍ يُغْدِق المعاني عليّ

مِثل لَيْلٍ

يدْلفُ

الرّدْهات

إلى الأسفل.

أيُّ مزاج راعف:

ما مِنْ ثانٍ سِواكْ!

ساعة من النّهار وقوفاً

وَقفْتُ بِلا سببٍ

حيْثُ لا سببٌ بِيَدي إِذْ وقفْتُ.

وَقفْتُ على الْعُودِ يَهْبطُ بي

ناشِزاً في الْجُموع

وَقفْتُ على أَيِّما شِقوةٍ

عِنْد مُنْحدَرِ فاقِعٍ

بِاكتراثٍ أقلّ

وَقفْتُ على غمغماتِ البريد

بِخطّ أَيادٍ وَحيد

وَقفْتُ على الرّيحِ تبسطُ أشرعتي

للغيابْ

كَمِثْل الْمُياوِم أَقْضي سحابةَ أَجْري،

ثُمّ أهُشّ على رَسْم روحِيَ بِالنّفَقات،

وأَسْأل حَوْلي المكانَ إذا هو وَقْتُ

وَحولي الضّجيج إذا هو صَمْتُ

وهذي الحياةَ إذا هي مَوْتُ

هُنا، كانَ يكفي غِناء الْغُيوم إذا خذلَتْ

أَنْ أرى الظّلَّ شاهِدةً،

وَالْخُطى حُبْكةً تُحْدث الْــمَغْصَ

والبابُ أيّاً يكُنْ شَوْقُهُمْ

هو بابْ..

وَقفْتُ لِكَمْ سببٍ

حيْثُ

وَحْدي

هُناك

لِذاكرة العابِرينَ انْتَسبْتُ !

تِلْقـــاء بابـــل

في الطّريق إلى الْبَيْت،

تِلْقاء بابِلَ

كُنّا الْتقَيْنا أبا الطيِّب اسْتَوقفَ الطّيْرَ

يَأْخذُ عَنْها وتأخذُ عنْهُ، وذِكْرى المصاريعِ

تَسْمعُ لِلرُّوح تَهْذي لِمَنْ أَتْلَفوا صَيْدليّتهُ

في الْمَدائن. قُلنا: نريد شفا الأرض.

إنّا يتامى وهذا أبونا قتلْناهُ هذا النّهارَ،

ولَمْ نلْقَ بعْدُ لهُ هامِشاً لِدَم النصِّ،

قال: اعْطِفوا جهةَ الرّيح تُصْغوا إلى الذُّخْر

مِنْ حجَرٍ خامِلٍ، وإلى الأناشيد مِنْ لا قَرارْ

إِذْ هَوى الليل سِرْنا حُفاة من الشكّ

يلْطمُنا الرمل في كلّ فجٍّ نمرُّ به،

ونرى مِنْ كُوى الرّيح

كَمْ متحفٍ مال ناحية الوَعْد يختُمُ مجهُولَه

بِدَم الْعَابرين،

ونقّالةٍ تتهجّى من الخَوْف حالاتِ معنى،

وَراءٍ أَجيرٍ بِأَرْضٍ بَوارْ

رأيْنا المصحّات تسْحبُها مِنْ يَد الْعَسَسِ العَرَباتُ.

رأيْنا السّناجيب تَلْطِم وقْتَ الْغُروب.

رأيْنا عُيونَ الضّباع مِن اللّيْل، والإرْثَ أيْضاً.

رأيْنا الْبِلادَ الْقِفارْ

قالَ راوٍ بِقَرْنَيْن: يا رفْقَة الشّعر، لا يَأْس.

قُلْنا: إلى أَيْن؟

قال: إلى كُلِّ نارْ

جُنّ مَنْ لاذَ بِالصّمْت،

واخْتارَ مَنْ ماتَ،

واحْتَرقَتْ يَدُهُ مَنْ أشارْ

ثُمّ لا شيْءَ، لا شَيْء

فيما الخرائبُ

تَزْهد فِي حُلْم بغداد

والمتنبّي

يطالعُ مِنْ شَارعٍ مُزْمنٍ

نَدَبَ الشِّعْر

في قِطَعٍ مِنْ غِيارْ

إرادة الحياة

(تتمّة حديثة)

إذا الشّعب يوماً أرادَ الْحَياة

رَمى الشّعبُ بِاللّيْلِ في سُلّة المُهْملاتْ،

وَفكّ عن المُسْتحيل القُيود، ولَبّى الْقَدَرْ

وفي الْفَجْرِ ردّد لَحْنَ أَبي الْقَاسِم الصّعْبَ

في جُمْلَتَيْن، وَقَالَ:

إِلى النّارِ هذا الْبَريدُ الكَذُوب،

إِلَى الرّيحِ رُؤْيا السّفَرْ !

إذا الشّعب يوماً أرادَ الْحَياة

نَما الدّمُ نُوّارةً في الجِراحِ

وَبَيْنَ الْكُوَى وَالشُّقوق

وَعِنْدَ حَوافّ الشّتاءْ

يُبَخّلُ قَرْطاجَ في مِثْل هَذا السّحاب الْمُعمّى

وَيَغْنمُ جُوعَ الْحَشائِش في الْمُنْحـــدَرْ

نَما في سَخاء الطّبيعةِ

بَيْنَ الرُّؤى الْكَالِحاتْ

نَما في قِطارٍ ثَقيلٍ إلى القَيْروان،

مُروراً بِوادي طُوى وَنَشيد الشِّعاب

نَما في اسْتِعاراتِ أَوْلاد أحمد والشُّعراء العَنِيدينَ

مِنْ غَيْر مُشْكلةٍ،

عارِياً في السّرائِر نَامَ

ولَمّا يَثِقْ في بُطُونِ الدُّمى، وَغِناءِ الإِماءْ

يُلوِّحْنَ مِنْ عرباتِ السّهَرْ.

لِأَنّ أَبا الْقَاسِمِ اشْتَاقَ في صَمْتِهِ لِلْخُروج

نَما الدّمُ بَيْن أَصابِعِهِ

نَطّ مِنْ جَوْقة الطّرَب الوَطنيِّ

إِلَى شارِعِ الْغَاضِبين الْحُفاةْ

يُعارِكُ الحقيقةَ

بَيْن الْحُفَرْ

يَطُولُ. يُسابِق شَمْسَ النّهار. يُتَمْتِمُ. يَصْرخُ في ظالِمِيهِ.. ويَرْمي الرُّؤى بالنّدى والحجَرْ !

إذا الشّعب يوماً أرادَ الْحَياة

فَلا أَحَدٌ يُوقِف الدّم في أُصُص الشّوْق

لا الخَوْفُ

لا الجُوعُ

لا مَهْرجانات (يا لَيْلُ طُلْ)

لا المَتاريسُ

لا لَعْلَعاتُ الرّصاصْ

عَلى غَدِهِ مالَ نُوّارةً مِنْ نُضار

وَآمَن بالشّمْسِ لَـــهْ

فَسارَ إلى حُلْمِهِ في نَشيدَ الْحَياةْ

وَأَنْزَلَ بِالظالِمينَ الطُّغاة الْقصاصْ

وَأَلْقى بِإيوانَ (فِرْعوْنَ) في المَزْبَلَـــهْ

.....

.....

لَكَمْ أَنْتِ تُونس خَضْراءُ

خَضْراءُ في حُلْمِنا العربيّ

تَزينِينَ بِالْعابِرين الْمَدى.. تَقْدَحينَ الشّرَرْ

وَفي الدَّمِ حُبُّك طالَ سماءً

وحبّاتِ كَرْزٍ

وَعُودَ ثِقابٍ عَطِرْ !

صعوداً إلى حياةٍ في الجبل

مِنْ عُيونٍ لِصَباحٍ يَتَفتَّقْ

أسمَعُ الأصْواتَ حَمْراءْ

مِنَ النّامُوس حَمْراءْ

كَما الشّأْفةُ في الحَلْقِ

لِرائِينَ نَمَتْ في الجَبَلِ الْأَخْضَرَ أصواتُهُمُ الحمراءْ

إذْ تَسْتَصْرِخُ النّهْر عِنْد الْحُبّ:

آهٍ..

هَذِهِ الأَصْواتُ

هَذا النَخْلُ،

نَخْلُ اللهِ أَشْرَقْ

هُنا

أوْ هُناك

بيْن شِعْبَيْن

أوْ في مَسيرِ جَنازة تعطرُ

أوْ تحْت الجَريد المرعوف بالطّاعُون

أوْ وسطَ شُهودِ بنِي قَيْنُقاع والحَلْفاء وآر بي جي

لا نعْرِفُ كمْ يَطولُ الْغِـــــناءُ منْبوراً منْ حنْجَرتِها ــ

راعِيةِ الأَشْواق، الْغريبَةِ ووَرِيثَة الأَمْطارِ عامَ الْجُوع

في حُلْمِها الّذي تَرِفّ حوْلَهُ الأَقْواسُ، ويرْعاهُ صَفيرُ الْقَصَب

يُمرُّ بِها الْمُعَمّم بالرِّيحِ، في رَوْضةِ الْجِراحِ، إلى ما تُحِبّ مِنْ صَيْدٍ وَغَارْ.

في الأَقْدام الّتي تعْزِفُها

والقرابينُ الّتي تسفحُها

تُلْقي التَحيّةَ كما يجِب

عَلى عَرائشَ تَضْحك لِلدّمِ،

وتفْدي الضّفائِر بعِطْرٍ عَظيم،

ولِلْوَعْدِ في يَديْن تَهْمسُ لي:

"مَنْ في دَمي الْأَقْصى يُسمِّي، والشُّعوبيّونَ مَرْضى بِالْملَارْيا يغْرِمونَ النّارَ بِي؟

نظَرْتُ حوْلي أسْأَلُ الأَيْتامَ إنْ غَرفوا دَمي جَذْلانَ كَيْ لا تَصْدُق الْغِرْبانُ. فِي عصْفي نظَرْتُ. يقُولُ في نفْسي أَبي المُخْتارُ سُرّي

يا عَزيزَةُ. لا الْمَوْتى، ولا ذَهبُ الْمُعِزّ يفُتُّ في رُوحِ الْعَزيزةِ. هَذهِ

الْحُريّةُ الحَمْراءُ نايُكِ مِنْ شِعابِ الْمُسْتَحيلْ

مِنْ حُطامِ الأَرْضِ تَحْتي. أسْمعُ الْعَتَباتِ.

أَسْمعُها تَبُلُّ الرُّوح في عَصْفِ النّخيلْ !"

.....

.....

مهْما تضْرِبُ الْكُثْبان

سقْفَ الْحِيطانِ مِنْ مِيراثِ الْعَجُوز

ومهْما السّاعَات في ضُمورِ الأَيادِي

ومهْما الْيَوْم، والرّاياتُ وعِيدُ التُّوت

إِذْ يَلْتَقِمُ اللّعْنة كِلابٌ مِنْ قِشّ

يهُمُّ الأُغْنية، في نِهايَةِ الظِّلال،

مَا تُبْرقُ بِه وارِفَةُ الْغَيْمات

منْ أَصابِعِها إلى الْحَياة

حَيْثُ لا لَيْل وَراء نَظّارتِك

إلّا رُوحك تُشذِّب الأحراشَ إلى الأَبَدْ !

الإصحاح السابع

من قصيدة قالها أمل دنقل

أيُّها الواقفون يَزِينُون ميدانَ مِصْرَ،

السَّلامَ.. السّلامْ !

مِنْ حَناجِركُمْ يُزْهر الْحُبُّ،

آهِ.. كَما النّارُ في الرُّوحِ والشُّرفات:

كَما الـــمُعْجِزة.

سَقط الْخَوْفُ مِنْ مُعْجم الْغَدِ،

إذْ تَعْبُرون خِفافاً، وَيَسْكَرُ مَيْـــدانُكُمْ

بِالشّذا، والصّلاةِ وَشَهْد الْحَمامْ.

لَكُمُ المَجْدُ.. يا أَيُّها الواقِفون!

في الرّياح، وَقَفْتُمْ عَلى الحافّة المُشْرَعهْ

تُغنّون: (نحن فداؤُك يا مِصْرُ)،

والخطواتُ سَنابِل زَرْقاءُ تَعْرشُ بَيْن السُّطوحْ

فالْمَنازلُ أشْرِعةٌ،

والزّنازنُ أَشْرِعةٌ،

والمدى أشْرِعهْ.

دَقّتِ السّاعةُ الــمُتْرعهْ

خارِجَ الطّقس،

والبِدَلِ العسكريّة،

والنَشْرةِ المُوجَزهْ.

هَبَطَت أُمُّنا مِصْر نَشْوَى عَلى ساحةِ القَوْمِ

تُطْعم فاهَا الصِّغار، وَتُلْبسهمْ رُوحَها المُشْتَهاةْ

إذا البَرْدُ حلَّ، وَرَان الظّلامْ

كان قَلبي الذي لَعنتْه الشُروحْ

بَيْنَكُمْ يَلْقط الحَبّ سَمْحاً،

وَصار لِلَوْني الّذي لوّثتْهُ الْعَناوينُ

طَعْمُ الْحَياةْ

يتراءى لعَيْنيّ أنَّ البِلاد تَفُوحْ

والسّنابِلُ أَعْدلُ هَذا النَّهارَ، فَسُحْقاً

لِقُطّاعِ أَرْضِ السّوادِ، وَبُعْداً

لِطُوفان نُوحْ

يتراءى لعينَيّ لا شَيْء، لا شَيْء.

قَدْ خَرجُوا

واقِفِينْ

وَعَنْ صَمْتِهِمْ

رُفِع الْحَرَجُ

فَادْخُلوا مِصْر

يا صَحْبتي

آمِنينْ !

حكاية الياسمين

في ذلك العام

عانى اللّيْل

مَنْ عانَى

.....

في ذلك العام

من قاسيُونَ،

من أُصُصٍ

على شَفا الْجُوع

دالَ الياسمينُ،

وَإِذْ طالَتْ إليْهِ الأيادي

دالَ أَكْفانا

.....

في ذلك العام

أَسْرى في جَنائِزِهِمْ

أطْفالُ دَرْعا

يَزينُ الياسمين خُطاهُمْ

مِثْلُ ذلك في مِعْراجِهِمْ

زانا

.....

في ذلك العام

لّما أَيْنع الدّمُ

مِنْ بَيْن الخرائب

قالَ الْحُبُّ: هَيْتَ لَكُمْ

لا يأْسَ مِنْ ياسمينٍ

قالَها الآنَا

.....

.....

في ذلك العام

فَجْراً

كانَ ما كانا

أحزان أبي العبّاس

لَمْ يَدْعُ غُنْبازٌ لَنا

لَمّا مرَرْنا بالشِّعابِ،

وَلَا حَصاةُ.

وَقْت الْغُروب،

سَما إِلَى دَمِنا الصَّدى

إِذْ نَحْنُ حُوذِيّونَ

نَنْبُذُ ما نَراهُ في الْعَراء.

يَدانِ هُنا،

وفي الأَنْقاضِ تَعْوي الرّيحُ.

سَوْفَ نَقُولُ لِلرّائي أَنِ الحَيّاتُ

تَغْنَمُ مِنْ يَدِ الطّاعونِ.

مِنْ قَيْظٍ ثَقيلٍ نَطْبُخُ الرّايات،

والغُصَصُ القَصِيّةُ مِثْلُ ذلِكَ:

لَيْسَ في الْبَالِ النّجَـــاةُ.

يكفي بِقَبْر ابْنِ رُشْدٍ هَذِهِ الرُّؤْيا،

ويَكْفي هَذِهِ الأَحْراش

تَأْكُلُ مِنْ جِنانِ الْجُوعِ.

لَيْتَ تضيء مِنْ (جِيليزَ)

دَرْبُ الشّوْك.

.....

.....

حُجَّتَنا عَلى أَهْلِ الْأَقاليم،

السّلامُ عَلَيْكَ.

طالَ الدّلْبُ أَجْوَفَ مِنْ يَدَيْكَ،

وَبِالْهَواءِ الطَلْقِ طالَ الْعَهْدُ.

وَالحَلْفاءُ.

لَمْ تَأْمُرْ لِأَيْتامٍ بِخُبْزِ اللهِ.

لَمْ تُجْرِ الْهِبَات،

وَلَمْ تَحِكْ ثَوْباً لِحُلْمِ الآبِقينَ

يَطُوفُ بالْأَشْواقِ لَمْلَمَها الشّتاتُ.

لَمّا بَذَلْنا، في الطَريقِ إِلَيْكَ، حُزْنَ الْعَصْرِ،

لَمْ نَصْعَدْ.

كَذلِكَ لا نَزالُ بِكُلّ شاهِدَةٍ نُتَمْتِمُ،

وَالْحِجارَةُ تَلْفظُ الوِدْيانَ،

ثُمّ

نَدِقُّ مَسْمَعَنا

لِمَنْ عَبَرُوا

وَماتُوا !

وَنصيـــــحُ:

في مَرّاكُشَ الأَحْـــبابُ مِنْ عَطَشٍ بِبابِ اللهِ،

في مَرّاكُشَ الْأَحلامُ أَهْوَنُ، والْخُطى صمّاء.

في مَرّاكُشَ ازْدانَتْ جِيادٌ بِالْمَرايا إذْ جَفتْها الشّمْسُ.

في مَرّاكُشَ الأَسْواقُ.

في مرّاكُشَ اشْتَبَهتْ عَلى الْأَرْضِ السّماءُ تَقيءُ.

في مرّاكُشَ اشْتَعَلتْ سِلالُ الحُبّ بِالْعَاهات

في مرّاكُشَ اشْتاقَتْ إلى عَيْنَيْكَ سبْتَة،

إذْ حَوالَيْكَ النِّكاتُ!

مَنْ أَوْرَثَ البَتَلاتِ عنْكَ لِعابِرينَ،

لِتَكْفُرَ الغَيْماتُ بِالدّمِ

أَيُّـــــها الصّدِّيقُ؟

مَنْ ساقَ النّخيل إِلى خَريفٍ لا يُطاقُ؟

لَكَمْ جَريحٌ ذلِكَ التّأْويلُ فينَا،

واللّيالي فَوْقَ ما نُحْصي.

نَدُفُّ الأُغْنِياتِ السُّود

مِنْ شِعْبٍ

إِلى شِعْبٍ،

وَلا نَشْفى.

هِيَ الرُّؤْيا...

هِيَ الرُّؤْيا البَياتُ،

فَاقْطَعْ إِلَيْنا اللّيْلَ،

وَاقْطَعْ خلْوةَ الْكَلِمات.

في هَذا الظّلامِ،

الْوَرْدُ أَبْهى إِنْ ذَوَى،

وَالحَرْفُ مِنْ عَيْنَيْن:

لَيْتَ يَرى الظّلامُ

لأَنّ تابُوتاً كَهَذا قَدْ يَغُورُ،

وَفَوْقَ هَذا لا حَـــــــياةٌ

إِذْ تَقولُ: أنا الْحَياةُ!

تقاليب ضـــوء

إلى أبي العلاء المعري

مِنْ بَعيدٍ،

أَسْمعُ الضّوْء

يُنادِيني.

بِصَبْرٍ وَلِسانَيْن، يُنادِيني: تَعالْ

ذَلِك الضّوْء!

قَلْبي

جُمَـــلٌ تَكْتُبني،

لَسْتُ كَأَيٍّ مِنْ ظِلالْ

مِنْ ظِلالِ الوَقْتِ،

تَغْدو وَتَرُوحْ

بَيْنَما

تَنْحَسِرُ النّافِذةُ الوَلْهى كَشَمْعٍ

ــ وَهْوَ لِلْبَيْتِ الّذي عمَّدهُ العُمْيانُ بِالأَنْفاسِ ــ

عَنْ ضَوْءِ الْقَمَرْ

قَال لِي: لَيْلٌ كَهَذا وَاطِئ

لا يُبْصِرُ الشّيبَ،

وَلا يَسْأَلُ ذِكْرى الْبُومِ

ما قَالَتْ لَنا النّجْمات.

في الإِنْشادِ يَأْتِينا تِباعاً

مِنْ غَمامٍ في السُّهوب انْتَثَرتْ

حَوْلَك ــ حَوْلي

صُوَرُ الْحَرْبِ

في عَشْر سُطورْ

مَعَ هَذا،

قَدْ سَمِعْناها مِن الْبَاب

تَلُمُّ العَزْفَ مِنْ بَرْدٍ قَديمٍ.

وَلِهذا السّبَب التّافِه أَيْضاً،

لا أَرى راحِلةً

في أَوّل الفَجْر،

وَلا ظِلّاً لِآتِينْ.

مِنْ هُناكَ

امْتَدّتِ الْأَيْدي إِلى البَرْق،

لِأَنّ الْعَزْفَ مَسْموعاً مِن الْأَصْداءِ

يَقْتَصُّ مِن الذِّكْرى

وَإِلّا ما بُكاءُ الْحُبّ

في الظّـــلِّ؟

لِعَيْني وَالّذي أَعْرِفُه ــ

أَسْمعُ زَحْفاً لِمِياهٍ.

تُومِضُ الْأَصْدافُ عَبْر السُّحْبِ

والْغَاباتِ:

تَمْتدُّ

كَمِثْل الْجُوعِ تَمْتدّ

في أَرْمِدةٍ لَيْسَتْ لَنا.

لَسْتِ لَنا أَيّتُها البِئْرُ.

عَلَى جِذْعٍ ذَوَى

مِنْ شَجَرِ الْجَوْز،

أَرى وَجْهي.

هُنا الرّيحُ جَثَتْ،

تَسْمَــعُ خَشْخاشاً لِمَشّائِينَ.

أَنّى لِي الّذي أَطْلُبُ مِنْ أَقْصايَ:

أَنَّى يَقْشعِرُّ الضّوْء!

في إِطْراقةٍ،

في الْجَانِب الآخَر مِنْ لَيْلي،

أَراني مِثْلَهُمْ

جُلْتُ بِفِكْري في الْعَمى المَنْسِيّ:

يا لَلْحُزْنُ في هَذا،

وَلا أَفْتأُ أَشْدُوكُمْ بِإِحْدى صِيَغ الْجُوع: لَـــلَلّا.

كَمْ تِلالٌ بَزَغَتْ

ثُمّ عَلى نَفْسي أُديرُ النّوْلَ بَرْدانَ

مِن الأَعْضاء.

في لَيْلٍ كَهَذا:

يَجْرحُ البَحّارةُ المُنْعَطَفَ المُمْكن

لِلَّعْنَـــة.

تَـــ

سْـــ

تَـــ

صْـــ

ـــرِخُهُمْ.

مِنْ حَطَبٍ يُجْمعُ مِنْ أَطْرافِهِمْ

تَدْلفُ في الأَصْداء

سِيقانٌ تُوارَى الوَعْدَ:

حَتّامَ تُغَنّي

بِمِزاجِ البَجَعاتْ؟

مِثْلُ قَشٍّ

لِلسَانَـــيْنِ

إلى الْقَاعِ

يُهْـــــوِي

يَتَجَلّى في الرّمَادِ المُتَبقّي

مِنْ دَمِ الْبَارِحةِ الصّاخِب.

كَمْ صَفْراءُ

شَمْسٌ تَتلوّى

حَيْثُ رِيشُ الْغَدِ

يَعْدُو في الْجِبالْ

دُونَ أَنْ أَلْقاك،

يَثْغُو الْحُبّ

إِلى آخِرِ الْأَحْزانِ.

حُلْمي بِك لا يُوصَفُ،

حَتّى لَكَأَنّي أَحْلُمُك الْحَالَ،

وَأَصْحو مَع مُوّالِك الْأَقْدَم في الْغَابات. مِثْل الرُّقْيَة انْجَابَ دَمي

مِنْ قَمَرٍ يَسْتَمْرِئُ الْقِيعان.

وَالْحَالَةُ هَذي،

يَهْمِسُ الضَّوْءُ لَها ــ في زَفَراتي الْجُوف

إِذْ في غَيْبَةٍ نَحْضُرها

يَضْحَكُ وَجْهانا لَنا.

آنَسْتُ مِنْ عَيْنَيْك ضَوْءاً

وَتَفَيَّأْتِ ظِلالي

يُمْطِرُ الْعُشْبُ

عَلى الْأَسْرارِ

أَيّانَ سَمِعْناها تَعَلَّقْنا بِها،

ثُمّ انْكَسَرْنا

بَيْن أَبْوابٍ عَزيزاتٍ،

فَأَنّى لِوُجودٍ وَاقِفٍ مِثْلُ أَسانا.

أَفْتَحُ الْبَاب

على صَوْتي

أُلاقي فِي الطّريقِ الْوَهْمَ لا يَشْفى

مِنَ الإِنْسانِ،

وَالْإِنْسان

أَيّانَ لَهُ أنْ يَرْفَع الآلاتِ

عَنْ ساقَيْه في خفّةِ طاعُونٍ.

كَمِثْلِ الْعَاشِقِ اسْتَقْبلَ نَوْءاً

أَصْحَبُ الشّهْوةَ في نايٍ إلى الْأَطْراف.

أُسْقاها جَريحاً،

وَأُحيلُ الاِنْعِكاسَ السّمْحَ لِلصُّورةِ

في الْقُرْب

لا ذَوْقَ

لِعِطْرٍ

دُونَ أنْ يُشْمِر.

هَذا الْوَرْدُ مِنْ حَوْلي

قُصاصاتٌ لِمَرْضى.

خُطْوةٌ لِلْمَطَرِ الْقَادِم

في مُنْحدَر الشّوْك

تَهُمُّ الظّلَّ

مِنْ بابٍ إلى باب:

طَريقُ الْمَاءِ هُو الشكّ.

خَريرٌ

لِخُطىً عارِيةٍ

تَنْشُج في الْخَشْخاش

ما تَذْكُرهُ هَمْهمةُ الفِضّة

في سَمْعٍ ثَقيل.

بِمِزاج الْغَد

قَدْ تَنْسى

وَتَدْري

بَدَلاً عَنّا

لِماذا شَهْوةُ الْعَزْفِ

إلى هَذي الْأُوَيْقات

نَشازُ اللّيْل؟

فِي الْبَحْرِ

يَدٌ مَقْطوعةٌ

تَعْرِشُ

بَيْن السّـــُفُن اللَّائي تَراءَيْنَ

لِعَيْنٍ مِن القشِّ

إلى أَيْنْ !؟

صِلِي الْآنَ شِراعي

يا ظِلالَ الشّوْق.

لَنا آتٍ،

لَنا ما قالَ آتٍ.

أَوّلُ السّلَّمِ مُوسيقَا نُواسيها

وَبَعْد النَّفْخ فَلْتَأْتِ بِما شاءَتْ.

لَنا الرّيحُ.

يُخْبِر الْغَسَقُ الْأَيْتامَ حَوْلي:

ظُلْمةٌ في خارِج البَيْت،

وَفي الدّاخِل تَصْحو البَجَعاتْ.

هَاهُنا،

في بَيْتِك المَجْروح بالْأَنْفاس،

لَمْ يَبْقَ سِوَى طاولَةٍ.

مِنْ كُوّةٍ بَيْنَ صِراطَيْن

يُطِلُّ الضّوْء مِنْ ذاكِرةٍ تَسْعلُ.

هَذا الّذي قُلْتُ بِلا جَدْوى:

عَلى مَقْعدِك الهَزّاز

يَنْأَى الْقَمَرُ التّالي

بَريداً مُزْمناً

يَبْلغُ أَسْلاكاً لِأَيْتامٍ، مِن البَرْد والأَفْكار.

نَفْسُ الشّيْءِ بِالنّسْبة لِلْأَحزان.

في الْبَيْتِ ــ على الْأَسْباب

إِذْ يُزْهِر في راحَةِ مَنْ ماتَ

صَداك الْمُشْتَهى،

فَالْحَطَبُ الْيَابِسُ ذِكْرى

لِرَمادٍ يُوقِظُ الْغِزْلانَ مِنْ قَلْبي ــ

دَمي بِرْكَةُ نَمْــلْ

مُذْ صَباحِ الْيَوْم،

لا أَكْتبُ شِعْراً.

وَرَقي مِنْ وَحْشةٍ،

وَالْيَدُ إنْ خَمّنْتُ يَسْتَهلِكُها

مِغْزلُ النّرْجس:

لِلْعُكّــازةِ – الضّوْءِ

صِراطانِ

وَفِي الْأَطْرافِ لَيْلْ

.....

.....

.....

نَازِلاً

أَشْحَذُ ضَوْئي

في مَدىً تَجْرحُهُ عُكّازتي.

أَسْمَعني باباً

لِعَيْنَيّ تَراءى طافِراً

ضَوْءٌ بَعيدٌ

بَيْنَ أَغْصانٍ مُعَرّاةٍ

هَلِ امتَدّتْ إلى البذْرةِ

أَشْواقُ الظِّـــــلالْ؟

مـــوّال أندلسي

بَيْن غاباتٍ مِنَ الدُّلْب

أَرى النّاي

كأَفْعى

في عَضُدِ الْوَحْشة

بَرْدانَ

أُولّي شاهِدتي شَطْري

وَزَهْرُ الذّكْرى على قَلْبي،

فَلْيَقُلِ الأَنْدلسيُّون ما شاؤوا.

مِن المُمْكن أن أَبْكي

طَريقاً

بِجوار القلب،

لَوْ يَسْمعني

مَنْ يَمْسحُ الذّكْرى بِوَجْهي.

لَمْ أَقُلْ مَا أَشْتَهي مِنْ غُصّتي.

لِلْأُصُصِ العَطْشى على الْعُودِ

تَرَكْتُ الْعُمْر يَسْتَفُّ تُراباً لي.

عَليَّ احْتَالَتِ الْخُطْوَةُ بِالْخُطْوةِ،

واخْتَطَّ دَمَ الْأَنْفاس مَجْهولِيَ

وَالْمَاءُ هُوَ الدافعُ.

لَوْ تحزرُ ريحْ:

سَأَرى

عَزْفي يحُثُّ الْعَرَبهْ

سَأَرى

لَفْظ الْمَراثِي يُتْلف المعنى الذّبيحْ

سَأَرى

في الوَرْد إنْ جُسْتُ خلال اللَّيْلِ

مَا قَدْ أَنْبَأَتْنِي الْعَتَبةْ!

.....

بَعْد أعوامٍ مَضَتْ،

كانَ الْفَتى يَحلُمُ عَنّي

يتهجّى بَدَلاً مِنّي

طَريقاً أَيْنعتْ

في جَسَدٍ آخَر

إذْ أطْرَقتُ أُصْغي

لِلْأغاني

وعلى أَطْرافها

رِيحٌ تسيحْ